شبكة الألوكة / آفاق الشريعة / منبر الجمعة / الخطب / الذكر و الدعاء

التضرع والخشوع والرغبة والرهبة والإلحاح في الدعاء



الشيخ فؤاد بن يوسف أبو سعيد

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 12/2/2023 ميلادي - 21/7/1444 هجري

الزيارات: 9317



التَّضَرُّعُ وَالْخُشُوعُ وَالرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ وَالإلحاح فِي الدُّعَاء

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سينات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ ثُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمُ مُسِلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 102]،﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وُخَلَقٌ مِنْهَا ۚ زَوْجَهَا وَبَثُّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيْرًا وَيُسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: 1]، ﴿ يَاأَيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اللهَ وَقُولُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 70، 71]، أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلُّ محدثةٍ بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ صلالة في النار.

أعاذني الله وإياكم وسائر المسلمين من النار، ومن كل عمل يقرب إلى النار، اللهم آمين آمين.

أيها الإخوة الكرام، الدنيا دار امتحان وابتلاء؛ في الأنفس، وفي الأهل، وفي الأموال، وهي دار ملينة بالهموم والغموم والأكدار، فلا عيش فيها إلا بالصبر والتوكُّل على الله، فالتَضرُّ ع والخشوعُ والرغبة والرَّهبة والإلحاَّح في الدعاء يزيُّلُ الهموم والغمومُ والكروب، فـادعوا الله يا عباد الله، واذكروه عند المصائب والخوف والفَّتن، واذكرُوه على كل حال، قَالَ سبَّحانَة وتَعَالَى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: 55].

واذكروه وتضرُّ عوا إليه في أنفسكم، وفي كل وقت وحين، قَالَ سبحانه وتَعَالَى: ﴿ وَانْكُرْ رَبُّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعُا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُورِ وَالْأَصِنَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ } [الأعراف: 205].

فيا من ترغبون في الأولادِ والذريات، وترغبون في إنجابِ البنينَ والبناتِ، ألحُّوا في الدعاء، ولا تيأسوا من تأخَّر الإجابة، ولا تستعظموا شيئًا على الله العظيم سبحانه، ولا تستبعدوا شيئًا على الله الكريم، فإنه سبحانه قريب.

وتذكّروا دعاء زكريا عليه السلام، الشيخ الذي بلغ من الكبر عتبًا، لم يقطغ رجاءه من الله، أن يهب له ذريّة من امرأتِه العجوز العاقر، وليس عند هذين الزوجين شيءٌ من أسباب الإنجاب: ﴿ قَالَ رَبَ إِنِي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِي وَاشْتَعْنَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِ شَقِيًّا * وَإِنِي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ لَذَكُ وَلَيًّا * يَرثُنِي وَيَرتُ مِنْ الْ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: 4 - 6]، وجاءت المفاجأة بعد الإلحاح، جاءت الاستجابة: ﴿ يَازَكَريًا إِنَّا نُبَشِرُكَ بِغُلَامِ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: 7]، تلقى هذه البشارة، فجاء التعجّبُ من صاحب الدعاء والطلب، جاء التعجّبُ والاستغراب من زكريا عليه السلام، هل في سنّ الشيخوخة والمشيب يكون الإنجاب؟! ﴿ قَالَ رَبّ إِنّي وَهَنَ الْمَوْلَى مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأْتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَذُنْكَ وَلِيًّا * وَلَى يَكُونُ لِي عُلْمٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأْتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَذُنْكَ وَلِيًّا * يَازَكُريًا إِنَّا نُبَشِرُكَ بِغُلْمٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبّ أَنِي يَكُونُ لِي عُلْمٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبّ أَنِي يَكُونُ لِي عُلْمٍ وَيَرتُ مِنْ الْ يَعْفُوبَ وَقَدْ بَلْعُلُهُ رَبّ رَضِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبّي فَقَلَ مَنْ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ مَنْ مُنْ الْ عَوْلُ عَلْمُ مُلْكُ وَلَى الْمُعْلِى وَلَا لَا عُرْبُولُ لِي عُلْمَ اللهِ عَلْمُ مَنْ قَالُ وَلَمْ شَنْمًا ﴾ [مريم: 4 - 9].

والسببُ في الاستجابة الإكثارُ من فعلِ الخيرات، ادعُ الله، وافعلْ خيرًا يأتِكَ ما تريد، قالَ سبحانه وتَعَالَى: ﴿ وَزَكَرِيًا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبَ لَا تَذْرُنِي قَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبِنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِ عُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الانبياء: 89، 90]، فالدعاءُ مع فعلِ الطاعاتِ من أسباب استجابة الدعوات.

ويا من ابتليثم بالأوجاع والأسقام، وتكاثرت عليكم الأمراض والآلام، تذكّروا أيوبَ عليه السلام، اقتدوا بصبره واتّعِظوا، وادعوا بدعائه وذكره، قال سبحانه: ﴿ وَأَيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِي مَسَّنِيَ الضَّرُ ﴾ [الأنبياء: 83]، يجعل مشكلته ومصيبته وما يريدُه، ويطرحه بين يدي رب العالمين سبحانه وتعالى،﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِي مَسَّنِيَ الضَّرُ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَالِدِينَ ﴾ [الأنبياء: 83، 84].

ومع الدعاء قد أخذ أيوب عليه السلام بالأسباب، فقال سبحانه: ﴿ وَانْكُرْ عَبْدَنَا أَيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصُب وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلُ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: 41: 43]، دعا، واعتسل بالماء البارد، وشرب منه، وأخذ بالأسباب؛ فجاءه الشفاء، وآتاه الله ما فقده أثناء ذلك الابتلاء.

ومن وقع في كُرْب وشدةٍ وضيق؛ فليكُثِر من الذكر والتسبيح، وليقتدِ بنبيّ الله يونسَ عليه السلام، قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذَّ أَبِقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْخُونِ ﴾ [الصافات: 139، 140]، ﴿ أَبَقَ ﴾: ترك أهله وقريتُه، وترك دعوتُه اليهم، وترك الصبر عليهم، ﴿ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْخُونِ ﴾: إلى السفينَةِ المكتظة برُكَابها التي لا تقبل أحدًا زيادة.

﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ [الصافات: 141]: حصل استهام وقرعة في السفينة؛ لأنها لا تحتمل الزيادة، فمن يكون؟ إنه نبي الله يونس عليه السلام وقعت القرعة عليه، ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾: المبعدين فالقيّ في البحر، ﴿ فَالْتَقَمَّهُ الْحُوثُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلُولًا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَيِّحِينَ ﴾ [الصافات: 142]؛ أي: في بطن الحوت، يذكر الله عز وجل، ويسبح الله، فنحن إذا وقعنا في مصانب لا ينبغي أن نجري هنا و هناك، وإنما ندعو الواحد، ونتوسَّلَ اليه، ونسيَّحُه ونقدِسُه، ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَيِّحِينَ * لَلبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَدْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَثْنَا عُلْهُمُ إِلَى مِأْتُهِ اللهِ عَلْمُ مُوا فَمَتَّعْنَاهُمُ إِلَى حِينٍ ﴾ [الصافات: 143 - 148].

فما هي دعواته التي رفعت عنه الكرب، وأزالت عنه الشدة، وكانت سببًا في إخراجه من بطن الحوت المليّءِ بما يهضمُ الحيوانات بعظامها، ويهضم أكبر من هذا الجسد، ما هي دعواته؟ وما هو ذكره؟ وما هو توسُّله؟

إنه توحيد لله، وتسبيخ لمولاه، واعتراف بين يدي أرحم الراحمين، قال سبحانه: ﴿ وَذَا النُّونِ ﴾ [الأنبياء: 87]؛ أي: يونس عليه السلام، ﴿ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا ﴾ [الأنبياء: 87]؛ أي: غضِب من قومه الذين لم يستجيبوا له، ولم ينتظر أمر الله له، ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [الأنبياء: 87]؛ أي: ظنّ يونس عليه السلام أن لن يضيق الله عليه في حياته ومعيشته، ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَّهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 87]، هذه دعوات المكروب، ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجْيِنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: 88].

ومن الذكر عند الشدةِ والمكرب، ما كان يقوله صمّلًى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: ((لا إِلَهَ إِلّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلّا اللهُ رَبُّ المَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ))، (خ) (6346) (م) 83- (2730).

وإذا أردنا النصر؛ فلنعمل بأسبابه، ولندع الله بالصفاء والنقاء، والتخلص من الذنوب، والخلاص من الخطايا والأثام، كما علمنا الله سبحانه وتعالى في كتابه، فأخبرنا وأرشدنا عند الدعاء ماذا نقول؟ ﴿ رَبّنًا اغْفِرْ لَنَا ثُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَنِتُ أَقْدَامَنَا وَأَنْ الْمُؤرِينَ ﴾ واعلموا: «أنَّ فِي الصّئرِ عَلَى مَا تَكُرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النّصرُرَ مَعَ الصّئبر، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكُرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْحُسْرِ يُسْرًا»، وأنَّ النّصرُر يُسْرًا»، وأنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكُرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْحُسْرِ يُسْرًا»، وأنَّ النّصرُ يُسْرًا»، فسؤالُ الله جلّ جلاله الصبرَ، وتثبيتَ الأقدام، قبل سؤالِه النصرُ يكون في النهاية؛ لكن قبلَ ذلك تريد أمورًا لتنتبت فيها، تصوّرُ أنَّ الأمَّة في هذا الزمان انتصرت على ما هي فيه من معاصٍ وذنوبٍ وخطايا، وبُعْدٍ عن الله سبحانه وتعالى؛ ما يكون حالها؟

فلا بُدَّ من الابتلاءِ والتمحيص، حتى إذا رفع الإنسان يديه، فقال: يا رب؛ كانت الدعوة مستجابة.

أقول قولى هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الآخرة

الحمد الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، واهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فالصبرُ وتثبيثُ الأقدام قبل سؤال النصر، كما قال سبحانه عن أولنك القوم، كانوا يدعون فيقولون: ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغُ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَنِّتُ أَقْدَامَنَا وَانْصُدُنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: 250].

فلنكثر من المسألة، وذكر الله، وعمل الخيرات، ولنلحَّ في الدعاء، هذه تمهّدُ للاستجابة من عند الله سبحانه وتعالى، فعَنْ عَائِشَة رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّم: ((إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيُكْثِرُ، فَإِنَّهُ يَسْأَلُ رَبَّهُ))؛ (حب) (889)، (طس) (2040)، انظر صمَحِيح الْجَامِع: (437)، الصَّحِيحَة: (1325),

((فإنه يسألُ ربّه)): يسأل المليك المقتدرَ، يسأل الغنيّ سبحانه وتعالى، والقديرَ على استجابةِ الدعاء، لا تسألُ أنت إنسانًا عاديًّا، فقيرًا لا يملك شيئًا، أنت تسألُ ملك الملوكِ سبحانه وتعالى، فلا تستقلُ من المسألةِ، أكثِرْ يا عبد الله، كن لحوحًا في سؤال الله ودعائه.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِذَا دَعَوْتُمُ اللهَ قَاعُرِمُوا فِي الدُّعَاءِ))؛ يعني: لا تقلُ: إن شئتُ انصرنا، إن شئتُ ارفع عنا، إن شئتُ اشفنا وعافنا، لا؛ بل اعزم المسألة، أكِّد عليها بإصرار من الله عز وجل، ((وَلا يَقُولَنُ أَحَدُكُمْ: إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّ اللهَ لا مُسْتَكْرِهَ لَهُ))؛ (خ) (7464)، (م) 7- (2678).

ألا وصلُّوا على الهادي البشير، والسراج المنير، نبيّ اللهِ ومصطفاه، صلى الله عليه وسلم، صلى الله عليه في كتابه، فقال: ﴿ إِنَّ اللّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى اللّهِ عِلَيه وَسلّم، عليه في كتابه، فقال: ﴿ إِنَّ اللّهَ وَمَلَائِكَتَهُ لَهُ اللّهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 56].

وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسائر الصحابة أجمعين، وارض عنا معهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

﴿ رَبَّنَا لَا تُوَاخِذُنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلُ عَلَيْنَا إِصُرًا كَمَا حَمَلْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَالْحِمْرُ لَنَا وَالْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرُنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: 286].

اللَّهُمَّ فارج الَّهِمِّ، وَكَاشَفَ الْغَمِّ، ومجيبَ دَعُوَةِ الْمُضْطَرين، رَحْمَانَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة ورحيمَهما، أَنْت ترحمنا، فارحمنا برحمةٍ تُغنينا بهَا عَن رَحْمَة هَنْ سواك. يًا فَارِجَ الْهَمِّ، وَكَاشِفَ الْغَمِّ، مُجِيبَ دَعْوَةُ الْمُضْطَرِّينَ، نَعُوذُ برضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، لا تَقُطَعْ رَجَاءنا، وَلا تُخَيِّبُ دُعَاءنا.

اللَّهُمَّ قاتل الكفرة أهل الكتاب الذين يكذِّبون رسُلُك، ويصدُّون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزَك وعذابك، إله الحقّ

اللهم رضَنا بقضائك، وبارك لنا في قدرك، حتى لا نحبَّ تعجيلَ ما أخَّرْتَ، ولا تأخيرَ ما عجَّلتَ، واكْفِنا كلَّ هَوْل دونَ الجنة.

وأقم الصلاة، إنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكرُ الله أكبرُ، والله يعلمُ ما تصنعون.

حقوق النشر محفوظة © 1445هـ / 2024م لموقع <u>الألوكة</u> آخر تحديث للشبكة بتاريخ : 3/8/1445هـ - الساعة: 17:2